

تناول عيادي إسقاطي للمراهق الجانح

دراسة لعشر حالات انطلاقا من الرورشاخ

زاهية بعلي إكردوشن^{*1} يسمينة أيت مولود² رشيد حدو³

1, 2, 3 جامعة ورقلة، الجزائر

نشر بتاريخ: 2018-06-22

تمت مراجعته بتاريخ: 2018-05-05

استلم بتاريخ: 2018-01-11

المخلص:

إن المراهقة فترة نمائية انتقالية يمر بها الفرد من الطفولة إلى مرحلة البلوغ، نظرا لحياة طفولة و/أو مراهقة صراعية عند بعض المراهقين، فإن بناء أنا متماسك يكون صعب المنال، وهذا ما يجعل من المراهقة صراعية لديهم، فيجدون أنفسهم في دوامة اضطراب التكرار (الفعل الذي تعرضوا له مثلا)، بحثا عن إصلاح لما كان صراعا في حياتهم، هذه المحاولات فاشلة وتدخل المراهق في حلقة مفرغة أين يكون المآل دائما في اتجاه الخطورة، خاصة إذا لم يتم التكفل بهم نفسيا وفهم سيرورة المراهقة لديهم. نهدف في بحثنا هذا، إلى فهم التوظيف النفسي عند المراهق الجانح، وذلك بالاعتماد على المنهج العيادي القائم على دراسة حالة، كانت التقنيات المستعملة هي المقابلة العيادية واختبار إسقاطي المتمثل في الرورشاخ، تم معالجة المعطيات الخاصة بالمقابلات انطلاقا من تحليل المحتوى على ضوء الإطار النظري التحليلي النفسي، حيث تم إظهار تعامل المراهقين الجانحين مع الإشكاليات الخاصة بهم مركزين الاهتمام على التعبير عنها من خلال الإنتاج الإسقاطي، تم تحليل معطيات بروتوكولات الرورشاخ انطلاقا من دليل التقيط لبيزمان، باريس 5، توصلنا في دراستنا إلى الكشف عن هشاشة نفسية لدى المراهق الجانح والتي ظهرت بأكثر قوة عند المراهقين الذين اقترفوا فعلا خطيرا، عكس ذلك، ظهر التوظيف النفسي أقل هشاشة عند المراهقين الذين اقترفوا فعل أقل خطورة، تشير هذه النتائج إلى أن المرور إلى الفعل لدى المراهق إنما يأخذ جذوره من سيرورة نموه ويسجل في إطار عدم نضجه وفشله في رفع الحركة والسلوك لصالح التصور والتعبير اللفظي، والذي يشير إلى هشاشة الأنا، تفتح هذه النتائج، مجالا للبحث عن فهم ما وراء الفعل المقترف، أي المراهق وتوظيفه النفسي وعدم التوقف عند الفعل المقترف فقط.

الكلمات المفتاحية: الجانح؛ المراهقة؛ الإنتاج الإسقاطي؛ اختبار الرورشاخ.

Clinical and projective study of the delinquent adolescent:

10 cas study from the Rorschach

Zahia BALI IKARDOUCHENE ^{*1}, Yasmina AIT MOULOUD ², Rachid HEDDOU ³
Ouargla University, Algeria

Abstract

Adolescence is a transitional period of development through which the individual passes from childhood to adulthood. Due to conflicts in childhood and / or adolescence with some adolescents, a consistent build of one's personality becomes difficult to achieve. So in this case, the adolescent is in a spiral where he is compelled to the repetition compulsion (of the act committed), to repair what has been conflictual with him. These attempts are unsuccessful and the adolescent enters a vicious circle where fate is always in the direction of danger, especially if he is not psychologically supported, to understand the process of delinquency with him. We aim to understand in this research the psychic functioning of the delinquent adolescent; we use the clinical method based on a case study. The techniques used were the clinical interview and a projective test which is the Rorschach. The interview data were processed of content analysis on psychoanalytic theoretical framework. We have verified how the adolescent deals with his problems, focusing on how he expresses it in the projective test. Data from the Rorschach protocols were analyzed, with the Beizmann, Paris 5 manual. In our study, we detected the psychological vulnerability of the delinquent adolescent, which appeared more strongly with adolescents who committed a serious act. On the contrary, psychic functioning appears less fragile with adolescents who have committed a less serious act. These results indicate that juvenile delinquency has its roots in the process of its development and is part of immaturity and the inability to suspend action in favor of representation and development of the verbal expression. These results open up a research perspective that aims to understand what lies behind the act committed, that is to say the adolescent and its psychic functioning, and not stop at the act only.

Keywords: delinquency; adolescence; projection production; Rorschach test.

* E. Mail: balizahia@yahoo.fr

مقدمة:

المراهقة فترة نمائية انتقالية يمر خلالها الفرد من الطفولة إلى الرشد، وهي مرحلة هامة من مراحل النمو، لها تغيرات عميقة جسدية ونفسية واجتماعية، كما تعد حقلا هاما يعاد فيه إحياء لصراعات الطفولة غير المتجاوزة، يؤدي هذا الإحياء إلى تعديل بنية الأنا والتعبير عن النمو البيولوجي والجنسي التي تكون مصحوبة أحيانا بصعوبات نفسية ومشاكل نفس- اجتماعية متنوعة، ويعتبر الجنوح من بين المشاكل الخطيرة التي تظهر في المراهقة.

فالجنوح حسب نشأت، "سلوك يرتكبه الحدث ويعتبره القانون جريمة، ويتمثل انحراف الحدث في مظاهر السلوك غير المتوافق مع السلوك الاجتماعي السوي الذي يمهد الانزلاق نحو الإجرام" (نشأت، 1981، 39)، بينما يعرفه بيرت Burt، نقلا عن العصرة، بأنه: "إفراط في التعبير عن قوة الغرائز وشدة انفعالها لدى بعض الأفراد". (العصرة، 1974، 22)

ويرى روبنسون Robinson نقلا عن الدرومي، أن الجنوح سلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان معينين بصرف النظر عن تقديم الفاعل للمحاكمة" (الدرومي، 1989، 27)، وقد عرف مكتب الشؤون الاجتماعية التابع للأمم المتحدة، الحدث الجانح من الناحية القانونية بأنه: "شخص في حدود سن معينة، يقدم أمام هيئة قضائية أو أي سلطة أخرى مختصة، بسبب ارتكابه جريمة جنائية ليلتقى رعاية من شأنها أن تيسر إعادة تكيفه الاجتماعي". (إسماعيلي والآخرين، 2015، 121)

لقد اختلف تعريف الحدث الجانح وتحديد سنه باختلاف قوانين البلدان، فالحدث حسب سبالد Sebal (1968) والمذكور من طرف قشوش، "هو ذلك الصبي الذي يصدر عنه سلوك يوقعه تحت طائلة القانون، ويلفت نظر السلطات القائمة على تنفيذه، بسبب أن هذا السلوك يضر بالصبي نفسه أو بأفراد آخرين أو بصالح المجتمع ككل" (قشوش، 1989، 382)؛ بينما يعرف خيرى الجميلي الحدث على أنه "الفترة ما بين سن التمييز والرشد الجنائي الذي يثبت أمام أي سلطة أخرى مختصة، أنه قد ارتكب الجرائم أو تواجد في إحدى الحالات الخطرة التي يحددها القانون". (الجميلي، 1998، 31)

اتفق سيغموند فرويد (Sigmund Freud, 1856-1939) مؤسس النظرية التحليلية، مع المدرسة التكوينية، في إرجاع جنوح الأحداث إلى العوامل الفردية، إلا أنه اختلف معها في كون أن العوامل النفسية لا عضوية، كما يرى فرويد، والمذكور من طرف رمضان، "أن السلوك الإجرامي أو الانحرافي هو نتيجة لأمرين: إما لعجز الذات عن تحقيق التكيف مع الميول الغريزية والنزعات الفطرية من ناحية والقيم والمبادئ السائدة في المجتمع من ناحية أخرى، وإما انعدام وجود الضمير أو عجزه عن ممارسة وظيفته في السمو بالنزعات والميول الفطرية المتقدمة إلى مرتبة الإشباع المشروع، والذي لا يخرج عن قواعد الدين والقانون، وفي كلتا الحالتين تنطلق النزعات الغريزية من مرحلة اللاشعور، لتحقيق إشباع جزئي أو كلي، إلى مرحلة الشعور متخفية بذلك كل الظوابط الواجب احترامها". (رمضان،

(1998، 201)

مهما كان التوجه النظري، فالباحث في العلوم الاجتماعية يحاول فهم الظواهر النفسية والاجتماعية من أجل إيجاد الحلول، فنحن نسعى في بحثنا هذا، لتسليط الضوء على الجنوح لمحاولة فهمه من الجانب النفسي والذي، حسب رأينا، لا يمكن فصله عن شخصية المراهق والنضج الذي حققه في تلك المرحلة.

سنحاول، على ضوء النظرية التحليلية النفسية، فهم التوظيف النفسي الشامل للمراهق، انطلاقا مما أتى به الباحثون فيما يخص التوظيف النفسي للمراهق بشكل عام، والمراهق الجانح بشكل خاص. وقد اعتمدنا على الاختبار الإسقاطي (الرورشاخ) لأنه الوسيلة الأنجع التي تسمح بالتعرف عن المشكلات النفسية التي تظهر عند المراهق، حيث تكشف عن الجوانب اللاشعورية الكامنة لديه وتعطي صورة عن واقعه الداخلي، انطلاقا من المادة المقدمة في اختبار الرورشاخ، كما يسمح هذا الاختبار بفهم الجنوح في إطار السيرورة الديناميكية للمراهقة.

الإشكالية:

تنمو الذات من تفاعل الكائن مع والديه والبيئة التي يعيش فيها فيمتص ويستدخل قيم الآخرين وبذلك، تميل الذات إلى التناقص بوضع تصورات للتجارب التي يعيشها، إلا أن الخبرات الصادمة، والتي لا يمكن وضع تصور لها، تدرك من طرف الذات على أنها تهديدات، "لقد لاحظ عدد من المتخصصين في القضاء والشرطة والخدمات الاجتماعية، والمعالجين [...]" تكرار الفعل العنيف والذي يمكن تلخيصه على النحو التالي: ضحايا وكذلك جناة العنف، يكررون حالات العنف التي تعرضوا لها عندما كانوا أطفال". (Morbois et Casalis, 2002)

فلا يمكن أن ننكر أهمية مرحلة الطفولة بمصير هذا الطفل في حياته المستقبلية، إلا أننا لا نقصد في بحثنا أن هذه العوامل حتمية ولا يمكن التخرج منها، إذ نريد أن نؤكد على أهمية التكفل بالمراهق وذلك بالتدخل العيادي بهدف تحسين نوعية التوظيف النفسي لديهم إذ "يعتبر تقدير نوعية التوظيف النفسي "العنصر الضمني لكل تدخل نفسي تحليلي أو عيادي مستوحى من التحليل النفسي يمكن تمييز نمطين مهمين للتوظيف النفسي: توظيف يدرج في التوظيف العصابي وتوظيف آخر، الذي يمكن اعتباره غير عصابي، يتميز التوظيف العصابي بالرمزية، بينما يفتقر إلى ذلك التوظيف غير العصابي". (Lecours, 2005, 91)

يتولد "التوظيف العصابي من ضبط جيد لظهور الوجدانات المؤلمة عند الطفل وقدرة الأم على التحمل والإرصان، تسمح مثل هذه العلاقة، بعمل التحول (transformation) للتجربة الأولية "بتغطية" المواد النفسية بتصورات عقلية غير لفظية ولفظية أكثر إرصانا، بالنسبة للمحتويات العقلية "الخامة"، التي هي في انتظار إرصان نفسي، فقد وضعت لها مصطلحات مختلفة [...]" يساعد تكديس وتنظيم التصورات على المرور [...] إلى مستويات عليا للعقلنة [...] وهدف الترميز هو الإنقاص من شدة الوجدان وإيقاف الميل إلى التعبير المباشر وهذا يعني أن العميل، من شأنه أن يتحمل بنجاح تجاربه المؤلمة، والتي لا تحمل ميزة التحيين لمعاش غير متحمل ماديا". (Lecours, 2005, 92)

إن للمراهقة خصوصية في حياة الفرد، بحيث تعتبر مرحلة التحولات الجسمية والنفسية التي تحدث بين الطفولة والرشد (Debesse, 1971,08) التي يعاد فيها إحياء الصراعات الطفولية كما تعد خبرة تعديل للبنية السابقة للأنا للتكيف مع التغيرات المختلفة الناتجة عن النمو البيولوجي والنضج الجنسي بهدف الوصول لإعادة التوازن النفسي.

إن اهتمامنا بقضية الجنوح في مرحلة المراهقة، يؤدي بنا إلى محاولة فهم ما وراء الفعل الذي لا يطاق التعبير عنه بغير السلوك ومحاولة فهم مكانة هذا الفعل في سيرورة المراهقة.

نظرا لمميزات المراهقة، أي خطورة الأفعال المرتكبة، ونظرا لعدم فاعلية مساندة المحيط من جهة وصعوبة تطبيق القوانين لمساعدة المراهقين من جهة أخرى، فإن استدخال الصراعات -التي يعاد إحيائها في المراهقة- يكون صعبا وإدماج الصدمات المعاشة في سيرورة المراهقة يكون أصعب.

إن استخدام الخيال، حسب التحليل النفسي، شكلا من المرونة النفسية إذ يسمح للفرد من وضع قناع على الواقع المعاش وإعادة بناء حالة أكثر تحملا بالنسبة له والتي يمكن تصورها، أحيانا يكون الواقع أقل استثمارا والتكيف مع العالم الخارجي أقل نجاعة، في هذه الحالة الأخيرة، فإن المراهق قد يبني عالم داخلي هامشي، حيث انشطار الأنا طغيان وسيطرة النسيان وكف التفكير، تكون التجارب الصادمة آتية باستمرار وغير مرصنة (non élaborées)، وهنا يكمن خطر تكرار تجربة الضحية أو المرور إلى الفعل العنيف؛ كما يمكن كذلك أن يغيب هذا التصور فيصبح الفعل بديلا للعمل العقلي وفي هذه الحالة، قد يتوجه التفريغ إلى المحيط الخارجي (Dupont, Rey-Salmon, Messer Schmitt, Marty,2015)

فقد لاحظ المختصون النفسانيون أن أغلبية المجرمين كانوا ضحايا العنف في ماضيهم وفي سعيهم لاستعادة حدود جسمهم المجروح، فإن ضحايا الاعتداء يجاهدون ضد نزيف نرجسي رهيب ويحاولون إعادة تنظيم سيرهم النفسي المفكك؛ وبنفس القوة يناضلون ضد التماهي للمعتدي. (Roussillon R,2002)

استعملت العديد من الدراسات، التقنيات الإسقاطية عند المراهقين نذكر منها:

دراسة إمانويلي وأزولاي (Emmanuelli et Azoulay,2001) والتي أظهرت خصوصيات التوظيف النفسي لدى المراهقين حيث قامت الباحثتان بدراسة بروتوكولات المراهقين يطلبون الفحص والمتواجدين بالمستشفيات لأسباب مختلفة، إضافة إلى مراهقين عاديين ما سمح لهما بإظهار مختلف الإشكاليات التي تظهر عبر التقنيات الإسقاطية والمتمثلة في المشكلة النرجسية والاكتئابية وإعادة إحياء الأوديب.

دراسة للباحثة أوزلاي (2002)، تناولت فيها خصوصيات التوظيف النفسي وعلاقتها بسيرورة التغيير بعد الاستشفاء عند 53 مراهق ذهاني ولقد توصلت الباحثة إلى أن الاختبارات الإسقاطية، أظهرت تطور جيد لـ 16 حالة من 35. (C. Azoulay,2002, 136)

دراسة جزائية للباحثين سي موسي وزقار (2002) وهي دراسة مقارنة بين أطفال ومراهقين تعرضوا لصدمة نفسية وآخرين لم يتعرضوا لها وذلك باستعمال الاختبارات الإسقاطية، ولقد توصل الباحثان إلى نتيجة مفادها أن الإنتاج الإسقاطي للأطفال والمراهقين المصدومين كان مميزا بالكف الشديد كرفض الاختبار والإسقاط الذاتي لوجدانات بعيدة عن المنبهات بينما تميزت إنتاجية الأطفال والمراهقين غير المصدومين بكف ورقابة ناجحين، التركيز على المحتوى الظاهري الملموس وبروز الوجدانات. (سي موسي وزقار 2002، 282)

يميل المراهق إلى الاستعمال المتكرر للإسقاط في حياته اليومية، وبالأخص فيما يخص الوضعيات التي تهدد اتزان أنه فلا توجد حسب بيرو، مراهقة بدون معاش فوبيا أو مشاعر اضطهادية [...] يعزو المراهق ما يرفضه في ذاته (أي في عالمه الداخلي) إلى الآخر والمحيط، يساهم الإسقاط مؤقتا في تقوية معاش الواقع ويساهم في بناء حدود الأنا؛ إلا أنه قد يضعفه في بعض الأحيان. (Birraux, 2004)

يعتبر السلوك الاجرامي، حسب التحليل النفسي نتيجة "إما لفشل الأنا في تهذيب النفس وإما لانعدام وجود الضمير أو عجزه عن السمو بالنزعات والميلول الفطرية إلى مرتبة الإشباع المشروع أخلاقيا وقانونا" (إسماعيلي، 2015، 147)، فالجانح يعاني من حاجة ملحة للعقاب لكي يتخلص من مشاعر الذنب التي تنشأ من المشاعر اللاشعورية المدمرة للمرحلة الأوديبية أثناء الطفولة، فالجرائم ترتكب من أجل العقاب الذي يجعل المجرم قادرا على التخلص من مشاعر الذنب التي عانى منها فترات طويلة، وكذا اخفاق المجرم في ترويض غرائزه الأولية، فالجنوح ليس إلا تعبيراً مباشراً عن دوافع غريزية كامنة، أو هي تعبير رمزي عن رغبات مكبوتة. (شحاتة، 1986، 113)

ويري يونغ (Young)، والمذكور من طرف معتوق "أن الجنوح يحدث عندما تكون استجابة الفرد غير معقولة لأفكار وخيالات ناتجة عن اللاشعور ونتيجة الخوف من سيطرة محتويات اللاشعور غير المعقولة، التي لا زالت باقية في حياة البدائية، وعند ظهور المادة غير المعقولة من اللاشعور الجمعي فان هذا يعد تهديدا لوجوده ويؤدي بالتالي إلى استثارة مشاعر القلق أو الخوف من نفسه". (معتوق، 2000، 127)

بعد هذه المقدمة النظرية، سنحاول الكشف عن الدينامية النفسية للمراهق الجانح من خلال اختبار الرورشاخ الذي هو بمثابة شعاع x يعبر إلى داخل الشخصية ويصور أغوارها، وبهذا يصبح الشيء الدفين في الشخصية واضحا والكامن ظاهرا. (Anzieu, Chabert, 1987, 27)

فالمراهقين هم أفراد يعيشون تحت ضغط الاستثارة النزوية الناتجة عن البلوغ والتي تزعزع النظام النفسي الذي اكتسبه الفرد إلى حد ذلك الوقت، تكون نفسية المراهق مطالبة بالقيام بعمل نفسي من أجل استدخال هذه التغيرات، يمكن للتقنيات الإسقاطية ترجمة هذه القدرات وإظهار فعاليتها، حيث يتعلق الأمر بالقدرة على التكيف مع الواقع واللجوء إلى دفاعات نفسية من أجل التحكم في هذا القلق الخاص بوضعية المراهق (Emmanuelli, Azoulay, 2001)، لهذا ارتأينا دراسة شخصية المراهق الجانح انطلاقا من الإنتاج الإسقاطي اعتمادا على اختبار الرورشاخ وعليه جاءت تساؤلاتنا كما يلي:

1- كيف سيظهر الإنتاج الإسقاطي عند المراهقين الجانحين؟

1-1 هل سيظهر "غنيا" والذي سيدل على قدرات إرصادية جيدة والتي ستتجلى من خلال:

1-1-1 القدرة على إرصاد¹ النزوات العدوانية والجنسية أمام وضعية الاختبار؟

1-1-2 القدرة على الربط بين الوجدانات والتصورات بطريقة ناجعة للتخرج من الوضعيات الإشكالية للاختبار؟

2-1 أم سيظهر الإنتاج "فقيرا" والذي سيدل على قدرات إرصادية ضعيفة والتي ستتجلى خلال:

1-2-1 عدم القدرة على إرصاد النزوات العدوانية والجنسية أمام وضعية الاختبار؟

2-2-2 عدم القدرة على الربط بين الوجدانات والتصورات بطريقة ناجعة للتخرج من الوضعيات الصراعية المقترحة من طرف مادة الاختبار؟

1- هل سيظهر الإنتاج الإسقاطي "فقيرا"، والذي يدل على الإمكانيات الإرصادية أقل فاعلية للتخرج

من الوضعية الصراعية في الاختبار عند المراهق الجانح الذي ارتكب فعلا خطيرا؟

2- هل سيظهر الإنتاج الإسقاطي "قريب من الغني" والذي يدل على إمكانيات إرصادية أكثر فاعلية للتخرج من الوضعية الصراعية في الاختبار عند المراهق الجانح الذي ارتكب فعلا جانحا غير خطير؟

فروض الدراسة:

نفترض الفرضيات التالية:

1- سيظهر الإنتاج الإسقاطي لدى المراهقين "فقيرا" والذي سيتجلى كما يلي:

1-1 قدرات إرصادية ضعيفة لإشكاليات اللوحة لدى المراهق الجانح.

1-2 قدرات فقيرة للترميز والتي ستتجلى من خلال:

1-1-2 عدم القدرة على إرصاد النزوات العدوانية والجنسية أمام وضعية الاختبار.

2-1-2 عدم القدرة على الربط بين الوجدانات والتصورات بطريقة ناجعة للتخرج من الوضعيات الصراعية المقترحة من طرف مادة الاختبار.

2- سيظهر الإنتاج الإسقاطي "فقيرا" والذي يدل على إمكانيات إرصادية أقل فاعلية للتخرج من الوضعية الصراعية في الاختبار لدى المراهقين الذين ارتكبوا فعلا خطيرا.

3- سيظهر الإنتاج الإسقاطي أقرب من أن يكون "غنيا" والذي يدل على إمكانيات إرصادية أكثر فاعلية للتخرج من الوضعية الصراعية في الاختبار عند المراهق الجانح الذي ارتكب فعلا غير خطير.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى فهم أكثر لظاهرة الجنوح من وجهة نظر دينامية نفسية، ما يساعد بدوره في

فهم هذا الجنوح في إطار سيروية المراهقة والتكفل أحسن بالمراهقين الجانحين أين يكمن خطر تكرار

تجربة الضحية أو المرور إلى الفعل العنيف والسادية لاحقاً، ولتفادي المصير الحتمي الذي يتمثل في الانحراف أو في العيش كضحية طويلة حياتهم.

أهمية الدراسة:

- المساهمة في إثراء البحث العلمي.
- أنها دراسة تسعى في اتجاه المنحى العلمي الجديد الذي يصبو إلى فهم الجنوح في إطار صيرورة المراهقة الدينامية.

حدود الدراسة:

لقد تمت الدراسة الحالية في المركز المتعدد الخدمات لرعاية الشبيبة ببني ثور ورقلة، كان ذلك لمدة 15 يوم في الفترة الممتدة ما بين (2017/02/05 إلى 2017/02/19)، وقد أجرينا الدراسة على عشر مراقبين مقيمين في هذا المركز.

تحديد مصطلحات الدراسة:

المراهقة: هي فترة من النمو النفسي والعقلي للإنسان الذي يحدث خلال مرحلة النضج إلى غاية سن الرشد وهو بذلك يختلف نسبياً من شخص إلى آخر وبذلك يمكن تحديد فترتها من سن 13 سنة إلى 17 سنة في دراستنا.

جنوح الأحداث: هي أفعال مخالفة للقانون يقوم بها الحدث والتي يترتب عنها تفعيل القانون، نعتبر في بحثنا الفعل جنوحاً للحدث، الفعل الذي يحدده قاضي الأحداث كذلك.

الإنتاج الإسقاطي: هو محتوى الخطاب الذي يدلي به العميل حول اختبار الورشاخ المطبق في بحثنا.

إجراءات الدراسة الميدانية

منهج الدراسة:

اعتمدنا في بحثنا على المنهج العيادي القائم على دراسة حالة، "قمنذ البداية طرح علم النفس العيادي كدراسة منهجية (systematique) لحالات فردية سواء في التطبيق أو في مبادئها الإستمولوجية [...] وفي هذا الإطار، فإن خطاب الحالة هو "بناء شخصي والذي يعطي له مكانة في عالمه، هذا حتى إذا عرفنا أن مواقف النفسية، سلوكاته لها كذلك محددات أخرى غير المحددات النفسية والذاتية [...] يظهر في دراسة حالة نشاطين متميزين على الأقل: الواحد يتعلق "بالعمل العيادي الذي يسمح بجمع (وحتى باستقبال) المعلومات الخاصة بفرد معين؛ يجب على هذه المعلومات أن تكون غنية (ميزة أقصى حد من المعلومات)، ذاتية (ميزة تصور الحالة للمشكل)، الامتداد (ميزة الكلية والتاريخ)، والنشاط الثاني يتعلق بإنتاج العيادي لتصور منتظم، مفسر، الذي يكشف عن العناصر الهامة والمحددة في تاريخ حياة الفرد وذاتيته، يجب على هذا التصور أن يستجيب لمبدأ الكلية (عدم عزل

الأعراض المعينة، اعتبار الشخص ككلية) ولمبدأ الفردانية(ما يهم هو الفرد بخصوصياته، أصالته، ما بداخله، تصورات، تاريخه)". (Pedinielli J, Fernandez L, 2009, 49 – 50)

بهاذين المبدأين، فإن دراسة حالة مستعملة على مستويات مختلفة لعلم النفس: النشاط المهني العيادي أولاً، نشاط الحوار بين العياديين(عرض حالة، تبادل حول حالة)، نشاط المعرفة(الحالة في إنتاج والتحقق من النظريات). (Pedinielli J, Fernandez L, 2009, 49 – 50)

سنعتمد في بحثنا إذن على المنهج العيادي الذي هو أنسب لموضوع بحثنا، حيث يقوم على وصف دقيق لخصوصية الحالة، الهدف من استعمالنا للمنهج العيادي هو فهم التوظيف النفسي للمراهق الجانح وصياغة معاني تسمح لنا بتناول موضوع معقد، مثل موضوعنا دون حصره في معنى جامد.

كما أننا سنلجأ إلى المنهج المقارن وذلك لمقارنة النتائج المتوصل إليها بين مجموعات البحث، لكن نشير إلى أن المقارنة لن تكون نمطية، ففي المنهج العيادي لا يمكن أن نقارن بين الأشخاص وإنما بين السيرورات النفسية.

مجتمع وعينة الدراسة:

قبل التطرق لمجموعة البحث، نشير إلى أننا في طريقة اختيار أفراد مجموعة البحث استوجب علينا، في بداية الأمر التوجه إلى مديرية النشاط الاجتماعي بورقلة من أجل الحصول على تصريح يسمح لنا بالدخول وإجراء البحث في مركز المتعدد لرعاية الشبيبة بني ثور ورقلة نظراً لصرامة القوانين، وبفضل التسهيلات من مديرية المركز والأخصائية النفسانية، قمنا بإجراء مقابلات مع المراهقين بمساعدة المختصة النفسانية التي ساعدتنا في اختيار مجموعة البحث، وذلك بعد تقديم شروحات للمختصة حول البحث والشروط الواجب توفرها في المجموعة البحثية، خصوصاً أن التشريع الجزائري ومصالح الأحداث لم تفرق من الناحية العملية بين الأحداث الجانحين والأحداث الذين في خطر اجتماعي ويوضعون سواسية في مراكز الأحداث. (مانع، 1996، 171)

قمنا بمقابلات مع المراهقين الجانحين، بعد الشرح لهم أن بحثنا لفهم المراهقين ليس له علاقة مع عمل المركز أو بالتحقيقات القانونية، كنا نوضح أن المشاركة في البحث إختيارية، وبإمكان الفرد رفض المشاركة دون أن يؤثر ذلك في علاقته مع إدارة المركز أو مساره القضائي، كما وضحنا لهم أنه لن يكون في البحث أي شيء له علاقة بالتعريف الشخصي لهم، إذ نتجنب ذكر الاسم واللقب وحتى ذكر الأماكن أو المناطق التي يمكن التعرف على الشخص من خلالها.

وقد تحصلنا على مجموعة البحث التي تضم مراهقين تتراوح أعمارهم ما بين 13 و 17 سنة وعددهم(10)، تم دخولهم إلى المركز المتعدد الخدمات لرعاية الشبيبة بورقلة بقرار من قاضي الأحداث ذلك بسبب ارتكابهم لسلوكات جانحة.

أدوات الدراسة وخصائصها السيكمترية:

- المقابلة العيادية.

- اختبار الرورشاخ.

اختبار الرورشاخ:

حساسية وصدق اختبار الرورشاخ مؤكدة في دراسات عديدة في علم النفس الإسقاطي، في علم النفس العيادي وعلم النفس المرضي، كما أن دقة الوسيلة، كما تؤكد ذلك شابير، تمكننا من "الكشف عن علامات خفية عند الفرد، مظهرة بذلك لصيرورة فلتت للملاحظة، أثناء المقابلة العيادية، سواء تعلق الأمر بعلامات كاشفة لاضطراب في إطار التطور، أو عكس ذلك، لعناصر مثيرة لأكثر تفاؤل، لدى حالة تعاني من اضطراب مقلقا عياديا" (Chabert C,1998, 47).

إن الفرضية الأساسية للمنهجية الإسقاطية حسب شابير ك (Chabert C.) هي أن العمليات العقلية المبلورة في تقديم الاختبارات الإسقاطية قادرة على التعريف على أنماط السير النفسي الخاص بكل فرد في خصوصياته ولكن أيضا في تفاعلاته الفريدة. (Chabert C,1998, 7)

"يسمح لنا استعمال التقنيات الإسقاطية، في مجال البحث في علم النفس العيادي وفي علم النفس المرضي، بتوفير منهجية جد مهمة ومثمرة". (Chabert C,2007, 556)

تمثل الاختبارات الإسقاطية طريقة للبحث في علم النفس العيادي وعلم النفس المرضي التحليلي بحيث يسمح لنا بفهم أنماط التوظيف النفسي بغض النظر عن التظاهرات العرضية النمطية نسبيا بالإضافة لتوحيد شروط التطبيق، والتعريف الواضح للوضعية الإسقاطية ولإطارها، فإن فائدة التقنيات الإسقاطية في مجال البحث يكمن في إمكانية الترميز للنتائج (Chabert (codification des résultats C,2007, 552)

إلا أن التقنيات الإسقاطية تمثل خاصة طريقة لتناول التوظيف النفسي الفردي في خصوصياته بالكشف عن الأساليب النفسية والتظاهرات الهوائية التحتية لأعراضية مشتركة من بين الأشخاص وهنا أهمية التدقيق والتعمق في فهم علم النفس المرضي في كليته.

يسمح لنا تحليل مقاطع التداعيات في خطاب الرورشاخ لدى مراهقي مجموعة بحثنا، باكتشاف التظاهرات الأصلية والخفية، والتي كثيرا ما تفلت للملاحظة المباشرة، واستخراج الأنماط الدفاعية الفريدة من نوعها في تعامل المراهقين مع الصراعات.

إجراءات التطبيق:

كما ذكرنا من قبل، أنه تم اختيار مجموعة البحث من المركز المتعدد الخدمات لرعاية الشبيبة ورقلة، وهو مؤسسة رسمية ذات طابع تربوي، تابع لوزارة التضامن والأسرة وقضايا المرأة تحت رعاية مديريةية النشاط الاجتماعي بورقلة و يعمل مباشرة مع محاكم الأحداث(عن طريق قاضي الأحداث) وذلك حسب أوامر تشريعية وهي:

- الأمر رقم 72/03 المؤرخ في 10 فيفري 1972 المتضمن حماية الطفولة والمراهقة.
- الأمر رقم 64/45 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتضمن أحداث المصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة، تحت تسمية المركز المتعدد الخدمات لوقاية الشبيبة التي أنشئت حسب القرار المؤرخ تحت رقم 100-76 في 25/05/1976 ومهامها حماية ورعاية القصر بالنظام الداخلي وانطلق نشاطها في سنة 1976.
- الطاقم البداغوجي: يتكون من مربين وعددهم أربعة، حيث يقومون بالسهر على نظافة الأحداث وتغذيتهم والقيام بنشاطات رياضية وثقافية، ومربين مختصين وعددهم خمسة، تتضمن مهامهم التدريس داخل الأقسام وتأطير الأحداث تربوياً، كذلك أخصائي نفسي وممرض ومربي مختص تطبيقي، أستاذ التعليم المهني... وحسب القانون الداخلي للمركز، فإنه يستقبل الأحداث ما بين سن 13 و18 سنة تبعاً لما يلي:
- الأحداث ذوي الأخطار المعنوية الذين يعانون من مشاكل عائلية، بما فيها الفقر، الطلاق، كذلك الذين يكررون الرسوب المدرسي، إلخ.
- الأحداث الذين يتواجدون في خطر الجنحة، وضعت هذه المراكز في الأساس للتكفل بالقاصر طفلاً كان أو مراهقاً وليس لعقابه.

كيفية تحليل المعطيات:

لقد قمنا بتحليل المقابلات العيادية النصف موجهة انطلاقاً من محتوى الإجابات المقدمة من طرف كل حالة على حدا على ضوء المعطيات النظرية التحليلية، نشير إلى أننا باستعمالنا لمعطيات المقابلة فإن الهدف هو دعم فهمنا العيادي للحالة؛ ولكن بالنسبة لتحليل نتائجنا فإننا نركز خاصة على معطيات التقنية الإسقاطية (الرورشاخ).

لقد تم تحليل الرورشاخ انطلاقاً من أعمال شابير ك (Chabert C, 1983-1987)؛ أما التتقيط، فقد تم الاعتماد على دليل التتقيط للأشكال لبزمان (livret de cotation de Beizmann C, 1966) وكذلك دليل التتقيط الجديد لـ (Azoulay C, Emmanuelli M, Corroyer D, 2012) لقد تم الاعتماد على طريقة تطبيق لمدرسة باريس 5 ولا يمكن أن نقدم التفاصيل في هذا المقال، لذلك نوجه القارئ إلى قائمة المراجع وأعمال تربمرغ وشابير، تسمح طريقة شابير ك لتحليل الرورشاخ، بالربط بين توظيف الفرد فيما يخص: التطبيق العيادي، صيرورة التفكير، علاج الصراعات وهذا من أجل هدف تقدير التنظيم الدفاعي للفرد ومستوى إشكالياته.

فقد استعنا باختبار الرورشاخ الذي هو من الاختبارات الإسقاطية، الذي يهتم بتقدير نوعية التقمصات الأولية، الهوية، والتقمصات الثانوية والمواقف الجنسية (position sexuées) انطلاقاً من اللوحات المكثفة (planches compactes) الثنائية والجنسية؛ الإجابات الإنسانية والحركية، وذلك بالاعتماد على النسب المئوية التي تعكس المقروئيات الخاصة باللوحات.

ملاحظات عامة حول البروتوكول:

- ضرورة عدم تميز البروتوكول بالكف الذي يتجلى في قلة عدد الإجابات عن 25 في بعض الدراسات الغربية، وأقل من 15 في دراسة جزائرية تحت إشراف سي موسي في إطار جامعة الجزائر وجمعية علم النفس للجزائر العاصمة (APA).
- زمن البروتوكول أقل عن 20 دقيقة (عند احتوائه على 15 إلى 20 إجابة) وعدم احتوائه على أزمنة كمون طويلة (في البداية أو داخل الإجابات)، مع عدم رفض أكثر من لوحة أو اثنتان، إضافة إلى غياب إجابات إضافية مرتبطة بمحددات إيجابية شكلية أو حركية إنسانية.
- غياب أو ندرة الكف الذي يظهر من خلال تعبير ضئيل عن الوجدان، وجود نمط صدق داخلي من النوع المحصور أو المنطوي، فالاستجابات الحسية القليلة تدل على مقاومة بروز الوجدان والانفعالات قدر الإمكان. (سي موسي وزقار، 2000، 48)
- بالإضافة لكمية الاستجابات، يجب أن تكون متنوعة حسب تنوع لوحات المنبه (الرورشاخ).
- ضرورة احتواء البروتوكول على استجابات كلية بسيطة (G) بنسبة تتراوح 20% و 30% حيث تضمن هذه الاستجابات الطابع التكيفي للتنظيم العقلي عندما يكون عددها كاف، وتكون مرتبطة بمدرجات إيجابية.
- أن تتراوح نسبة الاستجابات الجزئية الكبيرة (D) ما بين 60% إلى 70%.
- أن تكون نسبة الاستجابات الجزئية الصغيرة (Dd) بنسبة 10%.
- أن لا تتجاوز نسبة الاستجابات الجزئية ذات الفراغات البيضاء 10% (Db1) وإلا اعتبر ذلك مؤشر للقلق.

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

كان عملنا، كما وضعنا ذلك عياديا قائم على دراسة معمقة للحالات، وقد اكتفينا بتلخيص الحالات في حوصلة على شكل جدول، فمن المستحيل أن نقدم كل الحالات لذا، فقد وضعنا فرضياتنا انطلاقا من تعليق على هذا الجدول.

سنقدم فيما يلي أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي سنوضحها فيما يلي:

جدول (1) معدل ظهور عناصر الاجتماعية في الرورشاخ لدى الحالات

العناصر الجنحة المرتبة	% F	%F+	%G	%D	%A	%H	Ban
السرقعة	51	73	27	59	43	17	4.2
الهروب من المنزل	54	60	34	52	37	12	3.3
الضرب	63	67	40	46	43	14	2.33
اعتداء جنسي	58	67	31	54	39	17	2.85
معدل النسب	57	67	33	53	41	15	3.17

تظهر معطيات الجدول السابق، أن متوسط نسب العناصر الاجتماعية عادي تقريبا عند أغلب الحالات، وقد لجأ إليها المراهقون كطريقة للتحكم في المادة على حساب الحياة الوجدانية والإدلاء بتصوراتهم الخاصة، ساد اللجوء إلى ما هو واقعي ومتعارف عليه على حساب العالم الداخلي، وما يتطلب من اتخاذ مواقف أمام إشكاليات اللوحات لدى المراهقين، رغم الانخفاض الطفيف لمعدل نسبة الإجابات الحيوانية على المستوى الفردي، فقد ظهرت مشاكل على مستوى الهوية لدى العديد من الحالات؛ كما هو الحال عند أغلبية المراهقين الذين ارتكبوا جنحة خطيرة (الاعتداء الجنسي، العنف، السرقة).

أظهرت طريقة إدراك الواقع تفادي الانخراط الذاتي، حيث لجأ أغلبية المراهقين إلى الإدراك الكلي ($G=31\%$) وهذا عند المعتدين بالضرب و ($G=40\%$) عند مراهق معتدي جنسيا، كما ظهرت الإجابات الجزئية عند هذا الأخير ($D=54$)، بينما كانت الإجابات الجزئية عند المراهقين المعتدين بالضرب ($D=46$) وهي نسبة متقاربة مع نسبة الإجابات الشاملة، تبين هذه المعطيات كلها مدى التمسك بالواقع الخارجي على حساب المشاركة الذاتية لدى هؤلاء المراهقين.

إلا أننا نشير إلى وجود حالتين من المراهقين الذين لجأوا إلى الضرب، الذين ظهرت لديهما استجابات للفراغات البيضاء (DbI) مرتفعة عن المعيار، هذا ما يشير إلى الميل لاستعمال الإسقاط كوسيلة دفاعية، كما تشير هذه الحساسية للفراغ إلى النقص الذي يجب ملأه للتحكم أحسن فيه، والذي يشير بحد ذاته إلى الهشاشة النرجسية.

ظهر التكيف بالواقع بعدد من الاستجابات الشكلية ($F=58\%$) عند مراهق معتدي جنسيا و ($F=63\%$) عند المراهقين المعتدين بالضرب؛ رغم هذا التكيف للواقع، إلا أن نسبة الشكل الإيجابي منخفضة عن المعيار لدى 20% من المراهقين، ما يشير إلى فشل الرقابة مؤقتا لديهم، هذا رغم أن معدل نسب $F+$ يبلغ نسبة 67% لدى المراهقين من هذه المجموعة التي نعتبرها في بحثنا لاجئة لفعل عنيف.

كما هو منصوح به في الاختبارات الإسقاطية، فإنه لا يجب أن نأخذ هذا التناول الكمي بالحرف فما هو ملاحظ عند بعض الحالات، هو طغيان الإجابات الشاملة أو الجزئية الكبيرة وغياب كلي للإجابات الجزئية الصغيرة أو الجزئية البيضاء، في حين نجد عند حالات أخرى ظهور إجابات كلية معتدلة نوعا ما، وكذلك بالنسبة للإجابات الجزئية الكبيرة والجزئية الصغيرة ولكن ظهرت لديهم حساسية كبيرة للأجزاء البيضاء كعلامة للحساسية للفراغ.

يتبين من خلال الجدول السابق، أن الرورشاخ لدى المراهقين الذين لجأوا إلى الهروب من المنزل تميز بتجنب المواجهة مع عناصر المادة وما تحييه من مظاهر مقلقة للواقع الداخلي، حيث ظهرت الاستجابات الكلية بمعدل ($G\% = 34$)، وكذلك الاستجابات الجزئية الكبيرة التي هي في الحقيقة عادية وقد ظهرت بمعدل ($D\% = 52$)، هذا ما يؤشر إلى وجود موقف دفاعي ضد الإدلاء بالمعاني العميقة والقوية التي تحييه جزئيات اللوحات، فالشكل العام أكثر حيادية يوحي هذا التجنب إلى غياب

الفضولية أمام موضوع الاختبار، وغياب الفضولية للواقع الداخلي، لذا غلب محاولة تجنب التعبير عن العالم الداخلي يتأكد كل هذا أكثر إذا أخذنا بعين الاعتبار اقتران الاستجابات الكلية والجزئية الكبيرة في أغلب الأحيان بمحددات شكلية ($F\% = 54$)، مثلها مثل الاستجابات الشكلية الايجابية التي مثلت ($F\% = 60$)، كان هذا وسيلة دفاعية ضد التوغل الذاتي الذي يستوجب الدخول في أعماق اللوحات.

كانت الاستجابات الجزئية الصغيرة ضئيلة تميز بتفادي التوغل في محتويات وأجزاء اللوحات، إذا نظرنا إلى معدل نسبة الأجزاء البيضاء، فقد كانت عادية (8%) إلا أنه يجب أخذ هذه النتيجة بنسبية ففي حين كانت نسبة هذه الإجابات الجزئية البيضاء مرتفعة عند حالة واحدة، فقد غابت نهائيا عند حالتين من هذه المجموعة؛ والتي ظهرت خاصة في اللوحتين II وأكثر أهمية في اللوحة VII، فقد كانت الأشكال في أغلب الأحيان، سلبية ما يشير إلى الطابع الصراعي لديهم والذي أدى أحيانا إلى طرح الأسئلة للفاحص أمام هذه الفراغات "هذي ثاني لازم نهدر عليها؟ (مشيرا إلى الفراغ الأبيض، "هذا ما فيه والو؟"، "لازم نعبر على هذا؟").

يمكن القول على العموم، أن المراهقين كانوا متمسكين بالواقع الخارجي على حساب الواقع الداخلي واستبعدت مشاكل على مستوى الهوية لدى حالتين، كان فعل الجنحة أقل خطورة وهو السرقة والهروب وكذلك لدى حالة مروان الذي لجأ إلى ضرب معلمته بعد أن ضربته وأهانته أمام زملائه، والذي يمكن اعتباره كرد فعل عدواني لكن لا يشير إلى سلوك عنيف؛ كما أنه يمكن القول أن الهروب من البيت يدخل في صيرورة المراهقة، حيث يبحث المراهق عن عالم أكثر قرب من خياله، فكما ترى قوسلان فإن "تحديات المراهقة تجلب الطفل[...] إلى الابتعاد عن وضعية التوظيف السابق إذ أنه يجب التخلي عن بعض الحماية والرعاية الوالدية وبسبب تغييرات البلوغ، التي تمس الجسم[...] إذ ليس هناك عودة إلى الوراء[...] يجب أن يكون قادرا على الاعتماد على نفسه، حكمه الخاص تجربته، لا بد له من تحمل المخاطر". (Gosselin, 2008, 90)

للمخاطرة علاقة بتاريخ المراهق أي الموارد الداخلية له، وعليه فأمام الهروب يتبادر إلى أذهاننا سؤال عن الروابط: أي العلاقة بين المراهق وعائلته ووالديه والأشقاء، فاضطراب ميكانيزم رد الفعل (الجنوح) عند المراهق، مؤشّر لوجود دينامية أسرية تتسم بالسلبية ظاهرا أو ضمنا (وضع الحلول السلبية للصراعات، وغموض الحدود السائدة مع وجود تحالفات بين بعض الأفراد ضد أفراد الآخرين من نفس التركيبة، والمعاملة السيئة، تعاطي المواد النفسية وغيرها)، وأن هذا الاضطراب إنما تعبير عن توتر السيروية العلاقة ككل، "قمة الأسطورة العائلية أنها توارث نظامها الداخلي من جيل لآخر، وهي تساهم بشكل كبير في رسم تاريخ العائلة" إذ لها وظيفة تعقيد الحياة الهوامية للأسرة، كما تساهم بدرجة كبيرة في صيرورة التقمص لدى كل فرد منها، والتي تتوارث عبر الأجيال" (Duriez, 2005, 4)، غير أنها قد لا تلقى صدى كبير عند بعض أفراد جيل جديد داخل المنظومة الأسرية، هذا ما يحبط الهوامات الفردية لعدم إشباعها داخليا ومنه ظهور أعراض مرضية مختلفة، مما قد يؤدي بالتوازي إلى إضعاف قوة تقمص الفرد للهوية الأسرية، هذا ما يجعله يبدو مختلفا ومنحرفا عن الطقوس

الأسرية(عادات، تقاليد، ممنوعات، واجبات... إلخ)، "ذلك أن مهمتها تكمن في البناء النفسي ورسم الحدود العائلية، لذلك فهي توحى بانتماءات تقمصية تماهية". (Duriez, 2005, 4)

لقد لاحظنا هشاشة الحدود النرجسية لدى هؤلاء، إذ ظهرت صعوبة لديهم للحد بين ما يمكن القيام به وما هي الحدود التي لا يجب تجاوزها، فبقدر ما كانت هذه الهشاشة النرجسية مهمة، بقدر ما جعلت إدراك الحدود بين ما يمكن القيام به وما لا يمكن القيام به غير ممكناً، عانت حالة واحدة من فقدان الأم وهو لم يتجاوز 10 أشهر من عمره، وقد عانى من قساوة المحيط إلى درجة أنه كان يتساءل لماذا يتعرض لهذه المشاكل، لماذا حضه تعس، وصرح مراهق آخر(ع) أنه وهو صغير كان يتعرض لاعتداء جنسي من طرف أخيه والذي تكرر لعدة سنوات ولم يتدخل أحد، هذا الأخ من الوالد كان أكبر منه وهو الابن الأول لأبيه من زوجته الأولى التي ما زالت حية وقد تزوج عليها للمرة الثانية بعد وفاة والدته، يقول أنه كان لعبة وكان يتصرف فيه كما يريد ويخافه كثيراً لذلك لم يتجرأ أن عارضه ولا أن رفض له شيئاً، كانت تهمة الموجهة لـ(ع) أنه قام بمحاولة اغتصاب رفيقته، كان فعله هذا لأول مرة ولكن لم يظهر عليه الشعور بالذنب، يمكن فهم هذا اللجوء إلى الفعل عند هذه الحالة، بتقصص المعتدي وتكرار الفعل المتعرض له في وضعية نشطة هذه المرة(من الوضعية السلبية للمعتدى عليه أصبح في وضعية نشطة كمعتدي) وقد كانت محاولة فاشلة لتجاوز الاعتداء، أي أن المراهق حاول تعديل نشاطه النفسي باستخدام ما يسمى بالتعديل المتزامن(Synchronique) والتعديل التطوري(Diachronique) ليظهر قويا(المرور إلى الفعل)، إلا أن سلوكه هذا غير سوي بل ويزيد من تأزم الوضع، إذ يخالف القواعد التي رسمها المجتمع، لقد كانت مراهقة مجموعة بحثنا متميزة بفقر التصورات وكان الفعل مكان التعبير، فرفع الحركة لصالح التصور من علامات التطور والنضج النفسي.

خلاصة الدراسة ومناقشة الفرضيات:

كانت فرضيات دراستنا تنص على أنه سيظهر الإنتاج الإسقاطي "فقيراً" والذي سيدل على قدرات إرصادية ضعيفة لدى المراهق الجانح؛ إذ ستظهر لديهم قدرات فقيرة للترميز والتي ستتجلى من خلال:

- عدم القدرة على إرصاد النزوات العدوانية والجنسية أمام وضعية الاختبار.
- عدم القدرة على الربط بين الوجدانات والتصورات بطريقة ناجعة للتخرج من الوضعيات الصراعية المقترحة من طرف مادة الاختبار.

لقد تبين أن التوظيف النفسي لدى المراهقين كان تحت وطأة إحياء الصراعات التي تميز مرحلة المراهقة، كان تجنيد الهوامات بدرجة وبطرق مختلفتين، ورغم غنى هذه الأخيرة أحياناً، إلا أن النضج وما يفرضه من تغيرات على الصورة الجسدية أدى إلى زعزعة نرجسية لدى بعض المراهقين، فوراء الأفعال الجانحة التي كانت أحياناً خطيرة تختبئ معاناة كامنة تجعل المراهق أمام استحالة تقبل التغيرات التي يفرضها البلوغ.

- سمحت لنا هذه المعطيات بإجلاء فرضياتنا، انطلاقاً من قدرة كل مراقب أم عدم قدرته على تناول الصراعات المختلفة والخاصة باختبار الرورشاخ، وقد ألفت انتباهنا تنوع توازن الإنتاج الإسقاطي حسب خطورة الفعل المقترف؛ لقد كان النشاط العقلي متميزاً بالكف أكثر عند المراقب الجانح المقترف لفعل خطير؛ فنجد أنه رغم المشاركة الوجدانية أحياناً إلا أنها مشاركة مؤقتة وقصيرة لتزول تحت وطأة الكف.

لقد كان هناك ظهور لتصورات هشة، خاصة بذات المراقب الجانح (في الرورشاخ) والتي تجلت خلال اللجوء المبالغ إلى الدفاعات النرجسية التي تشير إلى صيرورة تفرد غير ناجحة؛ فقد ظهرت الصورة الجسدية غير مستدخلة بطريقة جيدة، لم تكن العلاقات الموضوعية قائمة بشكل جيد لعدم اكتساب مستوى نمو ليبيدي جيد، لم تكن هناك قدرة على وضع حدود بين الداخل والخارج، لقد ساد الكف بشكل واضح إذ كان هناك:

- عدم القدرة على إرسان النزوات العدوانية والجنسية أمام وضعية الاختبار.
- عدم القدرة على الربط بين الوجدانات والتصورات بطريقة ناجحة للتخرج من الوضعيات الصراعية المقترحة من طرف مادة الاختبار.

لم نلاحظ توظيف نفسي نموذجي خاص بالمراقب الجانح، ولم نجد توظيف نفسي "غني" لدى المراقب الجانح وبذلك تتحقق الفرضية الأساسية، والتي تنص على أنه سيظهر الإنتاج الإسقاطي لدى المراهقين "فقيراً".

نصت الفرضية الثانية على أنه سيظهر الإنتاج الإسقاطي "فقيراً" والذي يدل على إمكانيات إرسانية أقل فاعلية للتخرج من الوضعيات الصراعية في الاختبار لدى المراهقين الذين ارتكبوا فعلاً خطيراً.

أظهر المراهقون الذين كان الفعل المقترف خطيراً، تصور جسدي مبني بشكل هش في الرورشاخ حيث غياب التوازن بين الاستثمارات النرجسية والموضوعية، والتي أظهرت عدم فعالية صيرورة التفرد ووجود صورة ذات غير مدمجة بشكل جيد ظهر بوضوح، أكثر عند المراهقين الذين كان الفعل المقترف لديهم خطيراً، كان هؤلاء المراهقين يملكون مستوى نمو ضعيف؛ حيث العلاقات الموضوعية غير قائمة بشكل جيد. انطلاقاً من المعطيات السابقة الذكر، تتحقق الفرضية الثانية.

ظهرت الصيرورة التفكيرية مستثمرة نوعاً ما، من طرف المراهقين اللذين كان لديهم الفعل المقترف غير خطير، إلا أنه رغم إظهار المراهقين صيرورة تفكيرية فعالة نوعاً ما، إلا أن هذه الصيرورة تبقى متأثرة أحياناً بخصوصيات مرحلة المراهقة (التي تتميز بإعادة إحياء الصراعات الطفولية) والتي لم تترك خيار لهم إلا اللجوء أحياناً إلى الكف كوسيلة للتهرب من الصراعات التي تطرحها اللوحات.

تشير النجاعة في اللجوء إلى الرمزية والمرونة النفسية النسبية التي يتمتع بها المراهقون اللذين كان الفعل المقترف لديهم أقل خطورة، إلى إمكانيات إرسانية باطنية، ما يؤشر بدوره إلى إمكانيات المراهقين في هذه المجموعة إلى إرسان صيرورة المراهقة.

كانت الإعدادات الدفاعية عند المراهقين الذين لم يكن الفعل المقترف لديهم خطيراً، متنوعة والتي أظهرت توظيف نفسي "غير مرضي"، حيث أظهروا تصور جسدي مبني بشكل مقبول في الرورشاخ حيث التوازن بين الاستثمارات النرجسية والموضوعية، والتي أظهرت فعالية صيرورة التفرد ووجود صورة ذات مدمجة، ظهر بوضوح أكثر عند المراهقين الذين كان الفعل المقترف غير خطير، كان هؤلاء المراهقون يملكون مستوى نمو ليبيدي جيد؛ حيث العلاقات الموضوعية قائمة بشكل واضح.

بهذه المعطيات السابقة تكون الفرضية الثالثة قد تحققت على مستوى مجموعة البحث والتي نصت على أنه سيظهر الإنتاج الإسقاطي أقرب من أن يكون "غنياً" والذي يدل على إمكانيات إرصادية أكثر فاعلية للتخرج من الوضعية الصراعية في الاختبار عند المراهق الجانح الذي ارتكب فعلاً غير خطير.

مقترحات الدراسة:

يمكن القول أنه من الضروري القيام بمتابعة نفسية للمراهق الجانح مهما كان فعله، فالباحث عما وراء هذا الفعل أمر ضروري لكي يتمكن المراهق من الخروج من الحلقة المفرغة التي تجعله دائماً سجين صراعاته، ففي الواقع تعتبر المراهقة المرحلة التي ترجع فيها بعض عناصر الماضي إلى السطح وهي بذلك فرصة لمحاولة فهمهم ما قد يساعدهم بدوره في تجاوز الصراعات الطفولية (بنجاح كتبها) وتكوين صورة ذات كافية، فقد لاحظنا أنه أمام هشاشة التصورات الوالدية، يقابلها معاش مراقبة غير متحمل؛ ذلك أن طريقة تعامله مع المعاناة الناتجة من اضطراب علاقات التواصل داخل التركيبة الأسرية كما أشرنا إليها سابقاً، والتي اتخذت صبغة سلبية (رفض لها، عدم ارتياح، إكراه...) أدى إلى غياب كفاءة الحديث والتعبير عنها بالكلام واللجوء إلى الفعل الجانح.

كما أن لهذه المعاناة النفسية الداخلية التي يعيشها المراهق الجانح بعد اجتماعي سلبي يوضحه الباحث لافوي (Lavoué, 2004) أنها تعزل الفرد وترسم مسافة بينه وبين الأفراد المحيطين به، فتقوم بفك روابط الانتماء التي تظهر أنها غير قابلة للتواصل (Lavoué, 2004)، فالمراهق الجانح سيشعر بالاغتراب حتى داخل أحضان أسرته، نتيجة كما يقول جرانجو (Granjo, 2005) لشعوره بقلق فقدان الانتماء إلى العائلة، أي فقدان الهوية العائلية، حيث يتم تدمير الروابط خاصة عند وجود تحالفات لا شعورية. (Granjon, 2005)

كان بلوغ المراهق تجربة صادمة أعطى معنى صدمي بعدياً بالنسبة للتجارب الطفولية التي بقيت كامنة لحد تلك الساعة، وأمام استحالة الترجمة النفسية لتلك الصراعات، لجأ هؤلاء المراهقون إلى الفعل.

يمكن توقع إذن، أن التصورات السابقة للذات وللآخر من شأنها أن تتوجه في هذه المرحلة الحيوية إلى إعادة بناء أحسن، خاصة إذا أحيط المراهق بمواضيع جيدة مطمئنة؛ فبدلاً من الاهتمام بالفعل المرتكب، فمن الضروري الاهتمام بما وراء هذا الفعل للتمكن من مساعدة أحسن للمراهق.

سبع(7) حالات من العشر حالات مجموعة البحث تعرضت للعنف بشتى أنواعه في الطفولة وخاصة عدم وجود وجه مطمئن ومشجع للتقصص، هنا ربما يجب الإشارة إلى أهمية الكشف عن الحالات قبل فوات الأوان والمرور إلى الفعل وبدلاً من عقاب الطفل أو المراهق المعتدي أو الفوضوي يجب عكس ذلك، محاولة فهمهم والاستجابة لحاجتهم، يعتبر الفعل المقترف في أغلب الأحيان نداء لأن يسمع له، فالمآل ليس حتماً أن يكون سلبياً، فشخصية الطفل هي شخصية في مسار النمو، وبالتالي فكل ما يتعرض له، دون أن يتسنى له بالإصلاح النفسي، من شأنه أن يترك آثاراً سلبية محطمة ومخفضة لاحتمال التخرج من الصراعات الخاصة بمرحلة المراهقة.

قائمة الهوامش والمراجع

¹ - نستعمل كلمة إرصان التي تعني العمل العقلي أو "الهضم النفسي" أي (élaboration mentale) باللغة الفرنسية. لم نجد مصطلح آخر، متفق عليه من طرف الدول العربية لاستعماله لذلك، استعملنا مصطلح الإرصان العقلي المتداول في جامعة الجزائر2، خاصة من طرف الباحثين ذوي التوجه التحليلي.

المراجع العربية:

أكرم، نشأت إبراهيم(1981). *عوامل جنوح الأحداث*. الجزائر: المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي.

إبراهيم، قشقوش(1989). *سيكولوجية المراهقة*. القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية.

إسماعيلي، يامنة وآخرون(2015). *سمات الشخصية لدى الجانحين*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

خيري خليل، الجميلي(1998). *السلوك الانحرافي*. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

سي موسي، ع. وبن خليفة م(2008). *علم النفس المرضي الإسقاطي، نماذج من التوظيفات العصابية والذهانية*. ج1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

السيد، رمضان(1995). *إسهامات الخدمة الاجتماعية في ميدان السجون وأجهزة الرعاية الحقة*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

علي، مانع(1996). *جنوح الأحداث والتغيير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة*. دراسة في علم الإجرام المقارن. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عدنان، الدورمي(1989). *جناح الأحداث*. الكويت: منشورات ذات السلاسل.

منير، العصرة(1974). *انحراف الأحداث*. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث.

معتوق، جمال(2008). *مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي*. الجزائر: دار بن مرابط للنشر والطباعة.

المراجع الأجنبية:

Anzieu D, Chabert C(1987). *Les méthodes projectives*. Paris: PUF.

Azoulay C, Emmanuelli M, Corroyer D(2012). *Nouveau manuel de cotation des formes au Rorschach*. Paris: Dunod.

Beizmann C(1966). *Livret de cotation des formes dans le Rorschach*. Paris: éd. du centre de psychologie appliquée.

4. Birraux A(2004). *Le Corps adolescent*. Ed. France: Bayard Culture.

Chabert C(1983). *Le Rorschach en clinique adulte. interprétation psychanalytique*. Paris: Dunod.

Chabert C(2007). «les méthodes projectives en psychopathologie». In Roussillon R et Al, *Manuel de psychologie et de psychopathologie clinique générale*. Paris: Elsevier Masson.

Chabert C(1987). *La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach*. Paris: Dunod.

- Chabert C(1998). *Psychanalyse et méthodes projectives*. Paris: Dunod.
- Chabert, C(1998). *La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach*. Paris: Dunod. Nouvelle édition augmentée.
- Clarisse Gosselin(2008) . *Enjeux psychologiques de la fugue*. Prises de risques et conduites à risques ». *VST - Vie sociale et traitements*. 2008/2 (n° 98). 90-93.
- Debesse, M(1971). *L'adolescence*. 3^e éd. Paris: PUF.
- Dupont M, Rey-Salmon C, Messerschmitt, Marty F(2015). *Violences sexuelles à l'adolescence : constats et réflexions*. Analyse de la population adolescente reçue pour suspicion de violences sexuelles à l'unité médico-judiciaire de Paris. *Neuropsychiatrie de l'Enfance et de l'Adolescence*. Volume 63. 36-43.
- Emmanuelli M, Azoulay C(2001). Azoulay C, *Les épreuves projectives a l'adolescence-Approche Psychanalytique*. Paris: Dunod.
- Granjon, E(2005). Les configurations du lien familial. *Revue de psychothérapie psychanalytique de groupe*. n° 45.
- Lecours S(2005). *Niveaux de fonctionnement mental et psychothérapie psychanalytique*. *Psychothérapies*. 25(2). 91-100.
- Morbois, C & Casalis, M(2002). *L'aide aux femmes victimes de viol*. France: édition L'esprit du temps.
- Nathalie, Duriez(2005). Enjeux et concepts de la thérapie familiale. *Revue toxicobase*. N°18. 20-28.
- Perron, R(2010). *La raison psychanalytique. pour une science du devenir psychique*. Paris: Dunod.
- Perron, R (1985) .*Genèse de personnel*. ere .Paris: PUF.
- Roussillon, R et al(2007). *Manuel de psychologie et de psycho pathologie clinique général*. 9^{ème}. Paris: Masson.
- Royer, J(2001). Dessin et abus sexuel. *Le journal des professionnels de l'enfance*. septembre-octobre. n°13.
- Vallée D(2005). Les familles dépendantes. Introduction a la clinique des systèmes flous. *Revue toxicobase*. N°18. 29-36.

كيفية توثيق المقال:

بعلی اکردوشن، زاهية وآيت مولود، يسمينة وحدو، رشيد(2018). تناول عيادي إسقاطي للمراهق الجانح دراسة لعشر حالات انطلاقاً من الدور شاخ. *مجلة العلوم النفسية والتربوية*. 6(2). 164-181.